

الإعلام وظاهرة الإسلاموفوبيا.

د/ هشام سبع ، جامعة برج بوعرييج

ملخص:

تعتبر الظاهرة الإعلامية من الأهمية بمكان، ذلك أنها تعالج قضايا المجتمع برؤية إعلامية هادفة، ويلاحظ في الآونة الأخيرة ازدياد في التطور الرهيب في العلوم والتكنولوجيات. وتعدد وسائل الإعلام و الاتصال، الشيء الذي أدخل العالم الإسلامي في الألفية الجديدة بنوع من الحذر، والخوف الشديد. نظرا لما أصابه من سهام مسمومة، ضربت استقراره ووحدته سواء على مستوى الميكروسوسيولوجي، أو حتى على مستوى الماكروسوسيولوجي في محاولة زعزعة الأمن والاستقرار العربي، تحت مسمى الخوف من الإسلاموفوبيا؟ والعداية لكل ما هو إسلامي، وبمجة زرع قيم الديمقراطية والسلام العالمي من طرف الدول الغربية. ولعل أبرز تلك الإساءات الرسومات الساخرة والمسيئة لشخصية- الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- في جريدة شارلي إيبدو، ولهذا تأتي مداخلتني لتبين خطورة بعض جوانب الإعلام الغربي المسموم على الأمن، السلام العربي، والإسلامي، والعالمي المشترك.

الكلمات المفتاحية: الإعلام ، الإسلاموفوبيا، التغيير الاجتماعي.

Abstract :

Global media is important because it addresses social problems with a meaningful media vision. Recently, global media showed a huge implication in science and technology. In recent modern times, multiplicity of media and communication has introduced the Islamic religion in a new area of negative perception and has portrayed it as a violent-prone religion. Due to its significant impact both at the microsociological level and even at the macrosociological level, media phenomenon caused a negative influence on Arab security and stability under the name of fear of Islamophobia, as well, hostility against Islam using the pretext of promoting values of democracy and world peace by Western societies. The most prominent of these abuses is the sarcastic and insulting drawings regarding the Prophet Muhammad by Charlie Ebdou. The main objective of the present paper is to show the seriousness of some aspects of Western media on Islam, Arab security and integrity, and global peace.

Keywords: Global media, social change, islamophobia.

تقديم:

تنامت في الآونة الأخيرة على مستوى الساحة السياسية والإعلامية، ظاهرة الإسلاموفوبيا كظاهرة مستهجنة لدى الشعوب العربية والمسلمة. أين رفض هذا المفهوم معنى ومبنى من كل أطراف المجتمع العربي والمسلم، ولأن الغرب هو الذي سوق هذا المفهوم في قالب ديني شبه من خلاله الدين الإسلامي وكل ما يتعلق بالممارسة الدينية للإسلام على أنه نوع من الفوبيا و المرض، لأنه حسب اعتقاده يزرع الفوضى ويحمل معه قيم العداة للشعوب الغربية وبخاصة للشعب الإسرائيلي؟ كما أن هذا المفهوم- الإسلاموفوبيا- لم يكن ليظهر إلى العالم ما لم تدعمه وتحميه القنوات الإعلامية والدعوية والتي ما فتأت أن تصوغه في شكل موجات هستيرية عداية للشعوب المسلمة ، وربط ممارساتها بمصطلحات الإرهاب، والمرترقة والخارجون عن القانون، لذا تأتي مداخلتني لتركز بشيء من التحليل والتفسير على دور الإعلام في تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا.؟ ومعرفة انعكاس ذلك على الأقليات المسلمة التي تعيش في أوروبا.؟ وستناول في خضم هذه المداخلة مجموعة من المحاور الكبرى منها:

المحور الأول : مدخل مفاهيمي

1- في مفهوم الإعلام وأهميته :

تتعدد وسائل الإعلام بين الوسائل السمعية ، البصرية، المقروءة والمسموعة، وكلها تلعب دورا هاما وبارزا في التأثير الاجتماعي ، التربوي، الإقتصادي والسياسي من خلال نقل المعلومات إلى الفرد والمجتمع عن طريق مختلف الوسائل الإعلامية أو حتى الوسائط التكنولوجية، كوسائل التواصل الاجتماعي أو ما يعرف بالفضاءات الزرقاء. وتلعب وسائل الإعلام أدوار كبيرة للفرد والمجتمع تتمثل في¹ :
- تؤثر وسائل الإعلام في تشكيل وتشكيل درجة الوعي لدى الأفراد والجماعات، من خلال صنع القرار.

¹ - هشام سبع، محاضرات في مقياس التغيير الاجتماعي، سنة ثانية علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعرييج، مدرج ابن

خلدون ، الإثنين، 18 ديسمبر 2018 على الساعة 11.00/09.30

-تلعب وسائل الإعلام دوراً بارزاً في تشكيل المستويات الثقافية للفرد والمجتمع.

-تغير واقع المجتمعات بحسب ما يحتاجه ذلك المجتمع.

-تدعم برامج التعليم والثقافة بحيث يعتبر الإعلام منبر تعليمي هادف.

-يدعم الإعلام روح الجماعة ، ويعمل على الدعاية والإشهار لبعض الحملات كتدعيم إذاعة القاهرة للثورة الجزائرية من خلال إذاعة الجزائر من القاهرة.

وعليه فإن الباحث يرى بأن الإعلام هو جزء من عملية الاتصال، وكلمة إعلام منبثقة من أعلمه بالشيء وتعني تزويد الجمهور بأكبر قدر من المعلومات الموضوعية الصحيحة والواضحة. ويقدر ما تكون هاتان الصفتان متوفرتان بقدر ما يكون الإعلام سليماً وقوياً. فالإعلام هو نشر الحقائق الثابتة والأخبار المفيدة ويعمل الإعلام على تنوير الرأي العام. وتكوين ثقافة لدى جمهور المتابعين.

2- في مفهوم الإعلام الهدام:

إن الإعلام الذي يفشل في أداء دوره في المجتمع ونقل رسائله إلى جمهور المتابعين يتحول إلى إعلام هدام يخلف آثار سلبية على الفرد والجماعة والمجتمع، وهو ما ظهر في صحيفة شارلي إيبدو، أين قامت بنشر رسومات صاخرة و مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم. فعندما أرادت تسويق صحائفها وزيادة ربحية إقتصادية في السوق، قامت بنشر أعمال معادية للإسلام، والمسلمين بغية زيادة المبيعات، وقد كان لها ما تريد إذ في يوم واحد فقط باعت أكثر من مليوني نسخة من صحيفة شارلي إيبدو ، وهذا ما يناهز ويناقض مبادئ الإعلام الهادف في المجتمع.¹

3- في مفهوم الهوية:

"جاء مصطلح الهوية في اللغة العربية من كلمة: هو. الهوية هي مجمل السمات التي تميز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها. كلٌ منها يحمل عدة عناصر في هويته. عناصر الهوية هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى.²

الهوية الشخصية تعرف شخصاً بشكله واسمه وصفاته وسلوكه وانتمائه وجنسه.

لهوية الجمعية (وطنية أو قومية) تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر، تميزهم عن مجموعات أخرى. أفراد المجموعة يتشابهون بالميزات الأساسية التي كونتهم كمجموعة، وربما يختلفون في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة. فما يجمع الشعب الهندي مثلاً هو وجودهم في وطن واحد ولهم تاريخ طويل مشترك، وفي العصر الحديث لهم أيضاً دولة واحدة ومواطنة واحدة، كل هذا يجعل منهم شعباً هندياً متميزاً رغم أنهم يختلفون فيما بينهم في الأديان واللغات وأمور أخرى.

4- في مفهوم الإسلاموفوبيا:

إن مصطلح "الفوبيا" أو الرهاب، مستمد في الأصل من علم الأمراض النفسية، ليمت التعبير بواسطته عن نوع من أنواع العصاب القهري، بحيث لا يملك المريض القدرة على التحكم في ردود أفعاله عند تعرضه لموضوع خوفه، فيضيق صدره ويجف ريقه وتزايد ضربات قلبه ويشحب وجهه وترتعش أطرافه، ليدخل في حالة فعلية من الفرع غير المسيطر عليه.

فهذا المصطلح مصطلح قديم نسبياً، وعاد للاستخدام مؤخراً ليعني أو يشير إلى التحيز والتمييز ضد الإسلام أو المسلمين، لكنه انتشر "كالنار في الهشيم" في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 ، وتداخل مع هذا المفهوم، مفاهيم أخرى، مثل العنصرية- القائمة على معاداة العرب والإسلام- وآخرها تسمية الإسلام بالفاشي، والمسلمون بالفاشين.

أو ما يعرف بالخوف لدى علماء النفس، ورهاب الإسلام هو لفظ حديث نسبياً يشير إلى الإجحاف والفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين، مثير للجدل يُعرفه البعض على أنه تحيز ضد المسلمين أو شيطنة المسلمين. لوحظ استخدام المصطلح منذ عام 1976 لكن استعماله بقي نادراً في الثمانينيات وبداية التسعينات. القرن العشرين. ثم انتشر المصطلح انتشاراً سريعاً بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام 2001.³

تعقيب:

إن المتتبع لهذه المفاهيم الأربعة (الإعلام، الإعلام الهدام، الهوية، الإسلاموفوبيا) من الناحية السوسولوجية يجد بينها علاقة أكثر من تفاعلية، ذلك أن مفهوم الإعلام قد يغذي الهوية والمواطنة لدى الفرد، والجماعة، والمجتمع، ويعطيها أكثر بعداً في الإنتماء والتعريف. كما أن الإعلام قد يكون في شقين

¹ - اجتهاد الباحث هشام سبع، من خلال معاينة الواقع السياسي العربي والعالمي ، وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب ، منذ هجمات 11 سبتمبر 2011

² أحمد عبد الغني محمود عبد الغني، مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب من موقع الألوكة، 22 جانفي، 2018

³ - <http://www.aluka.net> -

احداها إيجابي تنموي، تربوي هادف ، وقد يعبر عن الرأي والري الآخر، أما الشق الآخر، فقد يكون الإعلام مسموم وغير محمود العواقب ، لذا قد تكون من بين أهدافه خدمة الأغراض السياسية، والاجتماعية، والعرقية، والدينية، والثقافية في الأساس .

المحور الثاني : وسائل الإعلام ولعبة التغير الاجتماعي :

أولاً- أهمية وسائل الإعلام:

تتعدد وسائل الإعلام بين الوسائل السمعية ، البصرية، المقروءة والمسموعة، وكلها تلعب دورا هاما وبارزا في التأثير الاجتماعي ، التربوي، الإقتصادي والسياسي من خلال نقل المعلومات إلى الفرد والمجتمع عن طريق مختلف الوسائل الإعلامية أو حتى الوسائط التكنولوجية، كوسائل التواصل الاجتماعي أو ما يعرف بالفضاءات الزرقاء. وتلعب وسائل الإعلام أدوار كبيرة للفرد والمجتمع تتمثل في :

-تؤثر وسائل الإعلام في تشكل وتشكيل درجة الوعي لدى الأفراد والجماعات، من خلال صنع القرار.

-تلعب وسائل الإعلام دورا بارزا في تشكيل المستويات الثقافية للفرد والمجتمع.

-تغير واقع المجتمعات بحسب ما يحتاجه ذلك المجتمع.

-تدعم برامج التعليم والثقافة بحيث يعتبر الإعلام منبر تعليمي هادف.

-يدعم الإعلام روح الجماعة ، ويعمل على الدعاية والإشهار لبعض الحملات كتدعيم إذاعة القاهرة للثورة الجزائرية من خلال إذاعة الجزائر من القاهرة.

ثانيا- الإعلام والمجتمع :

إن للإعلام مكانة هامة في أي مجتمع من المجتمعات ملل له من دور فعال في تشكيل وتفعيل مظاهر الحياة المختلفة ، وربط قنوات الإتصال بين الأفراد والشعوب والأمم ومعالجة القضايا المتعلقة بالإنسان الإقتصادية والسياسية والثقافية والأمنية.¹

ولهذا يلتقي كل من علم الإعلام وعلم الاجتماع في حقل معرفي موسوم بعلم الاجتماع الإعلامي وهو فرع من فروع علم الاجتماع يركز في اهتمامه على العملية الإعلامية وأثرها في رصد وتحليل وتتبع الظاهرة الاجتماعية بما تشمله العملية الإعلامية كظاهرة اجتماعية من عناصر الإتصال المعروفة من مرسل ومرسل إليه وتغذية رجعية ، والتأثير وما تأديه من وظائف تربوية وتوجيهية تندرج بدورها على المجتمع ككل. وقد تطور هذا الحقل المعرفي لحاجة علم الاجتماع إلى تفسير قضاياها وفق نظرة إعلامية هادفة، من خلال الإسهام الكبير الذي تقدمه وسائل الإعلام في تفسير وتتبع الظاهرة والمشكلة الاجتماعية على حد سواء، وفي فهم وتوجيه السلوك الإنساني، وتحليل الظواهر الاجتماعية كالإدمان ، المخدرات، الإختطاف وغيرها من الظواهر الاجتماعية التي تتطلب تدخل الإعلام في تتبع حيثياتها. وتقدم التحليلات التي تقدمها وسائل الإعلام لفهم ظاهرة التغير الاجتماعي لا سيما عند العرب والمسلمين كتلك المتعلقة بالأحداث العربية مطلع سنة 2011، أين تدخل الإعلام في تتبع معطيات الظواهر الاجتماعية ولعل أبرزها ظاهرة الهجرة نحو أوروبا، أو ما يسمى بمشكلة اللاجئين العرب.

ومع تطور العلوم وزيادة تخصصاتها وتنوع وسائل الإعلام والإتصال ساهمت في تشكيل مجتمعات وبروز مجتمعات أخرى ، كما ساهم الإعلام في التأثير على الأفراد من خلال النفسيات والسلوكيات مثل التأثير الاجتماعي والإقتصادي على سلوك الفرد ، وزيادة درجة الوعي السياسي لدى الشعوب من أجل تحقيق غايات التحرر والديمقراطية.

ثالثا- التأثير الإعلامي وتنامي ظاهرة التغير الاجتماعي:

أ-الإعلام والتأثير الاجتماعي:

ترى الحتمية الاجتماعية أن البنى الاجتماعية هي التي تتحكم في محتويات التكنولوجيا وأشكالها وبالتالي فإن استجابات البناء الاجتماعي لمجئى الوسائل الإتصالية الجديدة هي التي تمتلك سلطة التغيير في المجتمع.²

ونظرا لحاجة المجتمع لوسائل الإعلام والإتصال فإن الإعلام يعنى بالإهتمام بالقضايا المجتمعية من صحة وسكن وتعليم وتربية وقضاء والحفاظ على موروث العادات في المجتمعات، كما أنه يساهم اجتماعيا في التثقيف التربوي الهادف مثل(النشيد التربوي الهادف) ، كما يساهم الإعلام كمؤسسة من مؤسسات المجتمع مع الأسرة والمدرسة في غرس بعض القيم التربوية ك(حماية البيئة و حملات التشجير مثلا) والسهر على تعليم الفرد القيم التربوية والتعليمية الهادفة. ك(تعليم القراءة، الكتابة ومحو الأمية)، ويساهم الإعلام في غرس بعض القيم الروحية والأخلاق الفاضلة والحميدة بين أفراد المجتمع الواحد. من خلال تثقيف الفرد دينيا والعمل على حل مختلف الإشكاليات الغامضة. كما يلعب الإعلام دورا كبيرا في تنمية فكرة المواطنة والحفاظ على وحدة الوطن.

¹ - وليدة حدادي، " دور الإذاعة المحلية في التوعية المرورية"، مجلة جبل البحث العلمي للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العام الثالث، العدد 25، بيروت ، لبنان، نوفمبر، 2016، ص 63

- فاطمة بنحوش، مجتمع المعلومات بين تقننة المجتمع وأنسنة التقنية، مجلة فكر ومجتمع، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، العدد 32، الدورية، الجزائر، 2016²، ص 360

ويساهم الإعلام في إعلام الأفراد بظروف الوطن الإجتماعية، الإقتصادية والسياسية ومتابعة مختلف الأحداث والمستجدات.

ب- الإعلام والتأثير الديني:

يؤثر الإعلام دينيا من خلال القنوات الدينية ومختلف البرامج والخصص الدينية التي يقدمها الإعلاميين لجمهور القراء ، والمستمعين والمتابعين، مثل ما تقدمه القنوات الدينية والتربوية الهادفة، مع تنشيط الحملات الدينية، من خلال تقديم الخطب والدروس التي تنمي العقل وتعمل الفكر، كما يساهم الإعلام في تنشيط التوجه الديني السليم والصحيح، كما يعمل الإعلام على تنمية الإرشاد من خلال مجالس الذكر والإفتاء ، ونشر الثقافة الإسلامية كتحفيظ القرآن الكريم، وشرح السّير وتفسير الأحلام ، وغيرها من البرامج الدينية الهادفة.¹

ج- الإعلام والتأثير الإقتصادي :

يساهم الإعلام في الإقتصاد من خلال التنمية أدوار الأفراد والجماعات على السلوك الإقتصادي سواء كان سلوك إنتاج، إيداع ، او سلوك استهلاك ويعمل الإعلام جاهدا على المحافظة على الثروة الوطنية ودعمها، من خلال زيادة فرص الإستثمار وطرق الإيداع سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات. كما يساهم الإعلام التنموي على دعم برامج التنمية المستدامة للوطن من خلال تشجيع الإستثمارات والإنتاج والتبادل وتنويع الطرق الكفيلة لتفادي الأزمات الإقتصادية الكبرى ومواجهة إنخفاض أسعار البترول بالدعوة والتشهير للمنتوج المحلي، والدعوة كذلك لإحلال المنتج الوطني. وهو ما ظهر في الإعلام الجزائري سنة 2015، من خلال الدعوة للإستهلاك المحلي تحت مسمى "استهلك جزائري". بالتعاون بين وزارة التجارة، ووزارة تكنولوجيا الإعلام والاتصال بالجزائر.²

د- الإعلام والتأثير السياسي:

يعمل افعلام على تشكيل الوعي السياسي وبلورة الرأي العام الجماهيري ، من خلال ثنائية غرس/ هدم الشعور بالإنتماء الوطني وحب/ كره الوطن لدى الأفراد والجماعات كما يهيئ الإعلام الراي العام لمختلف الظروف والمستجدات الطارئة التي يمر بها اي مجتمع مثل التحسيس، والتعبئة الجماهيرية، وتحبيب المواطن للعملية الإنتخابية وغرس القيم، والشعارات السياسية مثل الحرية، والديمقراطية وحقوق الإنسان، حق الإنتخاب السياسي وتدعيم فكرة المواطنة لدى أفراد المجتمع.

هـ- الإعلام والتنمية الإجتماعية:

يقوم الإعلام التنموي بتنمية المجتمعات وخاصة البدائية والقروية منها ومحاولة جعلها تقترب إلى الأنماط الحضرية، ذلك أن المجتمعات المتخلفة تواجه العديد من المشكلات التي يقوم الإعلام بدور كبير في مواجهتها والإسهام والتغلب عليها ومقاومتها. وهذا بالتكامل مع السياسات والأساليب الوطنية. كما يقوم الإعلام بدفع الرغبة في التغير الإجتماعي نحو الأفضل ، فتقوم وسائل الإعلام بتطوير وتقديم المجتمع إقتصاديا واجتماعيا وثقافيا عن طريق ما ينقله الفرد من أفكار وقيم واتجاهات وحتى مفاهيم تساهم في رفع المستوى الفكري والثقافي.

تعقيب:

إن دور الإعلام في أي مجتمع يبقى رهين الإستعمال ، فهو إيجابي وسليبي في نفس الوقت لذلك يقول كارل بوبر في مقاله " التلفزيون خطر على الديمقراطية" أن التلفزيون ذا التأثير البالغ السوء قد يمكنه على النقيض من ذلك أن يكون وسيلة تربوية مهمة، نعم إنه أمر ممكن،غير أنه ضئيل الإحتمال"³.

المحور الثالث: الإسلام في عيون الإعلام الغربي:

أ- نظرة الغربيين إلى العرب والمسلمين:

في السابق عندما كان الغربيون يريدون معرفة أي تفاصيل تتعلق بالعالم العربي والإسلامي، أو السلوك الاجتماعي للعرب والمسلمين، كانوا يعودون إلى المراجع الفكرية والثقافية التي وضعها المستشرقون، الذين احتكوا بالجغرافيا العربية والإسلامية وكتبوا انطباعاتهم عما شاهدوه في الشرق، الذي يظن بعضهم في الغرب أنّ علاء الدين وفانوسه السحري ما يزال يقيم فيه، ولم تساهم هذه الدراسات في تبيان الصورة بشكلها الصحيح عن العرب والمسلمين، وظلّ الغربيون العاديون يعرفون النزر اليسير عن العرب والمسلمين.⁴

ومع تدفق العرب والمسلمين المهاجرين على الغرب، واستيطانه بشكل ملفت للنظر في المدن والعواصم الغربية، بات في وسع الغربيين أن يحتكوا بالحالة العربية والإسلامية بشكل مباشر، وأن يطلعوا عن كتب على سلوك وأخلاق ونفسية العرب والمسلمين، وللأسف الشديد يمكن القول: أنّ الغربي الذي كانت في ذهنه صورة سلبية عن العرب والمسلمين جزاء قراءات معينة، فإنّ هذه الصورة ازدادت رسوخاً وتأكدت بشكل كامل.

¹ -أنظر: قراءة سوسيولوجية للباحث هشام سبع للعلاقة الثنائية بين الدين والظاهرة الإعلامية في الجزائر، 2016

² - أنظر: مشروع استهلك جزائري، وزارة التجارة، الجزائر، 2015

³ - كارل بوبر، "التلفزيون خطر على الديمقراطية"، مجلة دراسات فلسفية، العدد2، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، قسنطينة، الجزائر، 2014، جوان، ص 200

⁴ - أحمد عبد الغني محمود عبد الغني، مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، نقلا عن يحيى أبو زكريا، مجلة أفق، ص 5

المناهج الدراسية في الغرب تقدم صورة مقلوبة بمعنى الكلمة ومشوهة جداً عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ونعته بالتعصب والتخلف ومحاربة مظاهر التمدن، وذلك بمحذف رسم سورة سلبية عن المسلمين في أذهان الرأي العام الغربي، ومن ثم غرس روح الكراهية لديه إزاء الإسلام، كما تستهدف زرع بذور التشكيك لدى أطفال المسلمين إزاء دينهم، وجعلهم يشعرون بالنقص بسبب انتمائهم للإسلام.

ب- الإعلام الغربي ضرب والمسلمين:

يتقاسم التأثير على عقل الإنسان الغربي اثنان: الأول التربية المدرسية والثاني الإعلام. لم يكن الإسلام - كما يعرض في مدارس الغرب - إلا بعض الطقوس والحزبونات منسوبة إلى بدوي في الصحراء التقى بعض اليهود والنصارى ونقل عنهم بعض النصائح والإرشادات، ولم يتوان هو شخصياً عن التمتع بالنساء، وكانت الحرب هدفاً بالنسبة إليه، منها يقتات وعلى هديها يسير.

في جانب الإعلام لا تخرج الصورة عن الإسلام عن المتداول في المدارس، مع إضافة خاصة بواقع المسلمين المعاصر، من تخلف، وأخلاق رديئة، وحب للدماء، وبطش بالمرأة، معاداة حقوق الإنسان، ووحشية وهمجية قلما يخلو منها مجتمع من مجتمعات المسلمين، ولا يكاد يخلو كتاب أو برنامج تلفزيوني أو مقال ينشر عن الإسلام إلا وتحدث بإسهاب عن الجهاد، وكأنما أصبحت كلمتا "إرهاب" و "جهاد" مرادفتين لكلمة إسلام.

الإعلام الغربي يقوم على ترسيخ صور نمطية عن الذات و (الآخر): الذات باعتبارها رمزاً للتقدم والنجاح والتحضر، و (الآخر) باعتباره أقرب إلى الوحش والبدائية وقلة الحضارة، وتقوم وسائل الإعلام في معظم الدول الغربية بالتركيز على العديد من القضايا التي توظف المشاعر العنصرية في الضمير الأوروبي، مثل قضايا اللجوء، والهجرة، والجماعات المتطرفة في الغرب، وتصوير المجتمعات الأصلية للأقليات العرقية والدينية - التي تعيش في الغرب - باعتبارها مجتمعات للحروب والتخلف والعنف والإرهاب، تصنع حالة من التوجس والخوف والانطواء تجاه الأجنبي "البربري" أو "المتوحش" القادم إلى قلب الجنة الغربية من أجل إفسادها وتدميرها.

وتعتبر صورة العرب والمسلمين المشوهة - والمقترنة في الإعلام الغربي بكل ما هو قبيح وسيئ - أحد أبرز المظاهر على دور الإعلام والتعليم ومختلف أجهزة الثقافة الشعبية في إنتاج الكراهية والحقد على العرب والمسلمين لدى الغربيين، وهي الظاهرة التي تعرف اليوم في الدراسات الاجتماعية الغربية باسم "الإسلاموفوبيا" أي الخوف والتخويف من الإسلام، وتصويره باعتباره بعبعاً يهدد الحضارة الغربية.

بعد أحداث سبتمبر أصبح الإسلام والمسلمين هو الشغل الشاغل للإعلام الغربي، في الأيام التالية لوقوع التفجيرات، بدأت الصحف البريطانية والأمريكية تتحدث عن شبكة إرهاب إسلامية ربما تكون منتشرة في أوروبا، وقد ركزت وسائل الإعلام والتقارير الصحفية على أنباء الاعتقالات وحملات التوقيفات، التي طالت عناصر إسلامية في مختلف الدول الأوروبية. ففي بروكسيل، كما أظهرت الصور، أوقفت الشرطة أربعة أشخاص ينتمون للتيار الإسلامي، وكذلك أوقفت شخصين في روتردام بهولندا، وقامت السلطات في هامبورج بمدممة عمارة سكنية يقطنها إسلاميون. وظهرت لقطات امرأة منقبة تحمل طفلها تسير في حراسة الشرطة لترد على الاستجوابات المعروضة أمامها، ورغم أن معظم الأشخاص الموقوفين ثبت - فيما بعد - أنه لم يكن لهم أية علاقة بالهجمات على مركز التجارة العالمي، فإن ذلك لم يحتل أي أهمية تذكر بالنسبة للصحافيين الذين أكتفوا بالإشارة للتوقيفات من دون ذكر نتائج التحقيقات.

الكثير من العبارات المهيجة ذكرتها وسائل الإعلام الغربية مثل "المسلمون قادمون"، "الغزو العربي لأوروبا"، "أكبر الإسلام"، و "الحفاظ على قيم الغرب التي يهددها الإرهابيون"، "الغرب المتحضر الديمقراطي في صراع ضد القوى الظلامية التي تحتقر الغرب"، "الإسلام والسيف"، "استيقظ يا محمد فقد أصبحوا مجانين"، "الإرهاب الإسلامي".

صحيفة بريطانية جادة (تلغراف) نشرت سلسلة مقالات لمدة عشرين يوماً عن الإسلام - كديانة - ولا تفرق بينه وبين المسلمين، وفي إحداها يشير الكاتب إلى قواسم مشتركة بين المسلمين والكلابⁱ، وإن الأقلية المسلمة ربما تهدد الغرب.

وعندما يتم اعتقال أشخاص بوصفهم مسلمون، لأنهم ينتمون إلى الإسلام يعلن ذلك على الصفحات الأولى، مثلاً في بريطانيا تم اعتقال 570 مسلماً بشبهة ارتكاب أعمال ضد القانون، لم توجه التهم إلا إلى 97 منهم، ولم يدين إلا 14 منهم بقانون مازال سرياً لا نعرفه، وأدينوا لتهم غير الإرهاب، التأشيرات والهجرة، أيضاً الإعلام البريطاني يضخم أشخاصاً لا يمثلون المسلمين ولا غالبيتهم.

لقد أصبح الهجوم على الإسلام في الإعلام الغربي - عقب أحداث سبتمبر - وسيلة سهلة لزيادة التوزيع، فالصحافة الفرنسية زادت مبيعاتها بنسبة تفوق 15% للأعداد التي تتضمن هجوماً على الإسلام والمسلمين، مما دعا أشهر صحيفة فرنسية (لوموند) لتخصيص ملف عن الإسلام نشر في عدة حلقات، وكذا صحيفة لوبوان (البحث عن الحقيقة) تضمن هجوماً شرساً على الإسلام والقرآن.

ورغم حيادية وسائل الإعلام الغربية - كما تدعي - ألا أنها دائماً تميل لمصلحة تشويه الإسلام. أذاعت القناة الثانية السويديةⁱⁱ برنامجاً حول الحجاب بمشاركة العديد من المحجبات من أصول عربية وإسلامية، والعديد من السفارات أيضاً من أصول عربية وإسلامية، وفيما كانت فتيات مسلمات يدافعن عن حجابهن كانت سافرة إيرانية ترأس تحرير مجلة نسوية مغمورة في السويد تتهم الحجاب بكونه ليس فريضة إسلامية بل شعار سياسي لمجموعة من المتعصبين الذين لا يؤمنون بالديمقراطية.

وعندما يتصل الأمر بتصحيح ما نشرته وسائل الإعلام فإن كثيراً من الجرائد الغربية لا تقبل بتأناً نشر مادة تصحيحية لمادة إعلامية نشرت عن الإسلام، أو قضية تتعلق بالإسلام، كقضية الحجاب أو الجهاد ومغزاه في الإسلام.

بالطبع ليس الجانب الإعلامي مظلماً دائماً، فقد أتيح عرض الإسلام أحياناً بطريقة موضوعية من قبل بعض القيادات الإسلامية في أوروبا، ولا يكاد بمضي يوم واحد دون برنامج إذاعي أو تلفازي، وخصّصت بعض الإذاعات مساحة زمنية واسعة لبث برامج تضمنت ترجمة معاني سور كاملة من القرآن الكريم، مع بيان أهم نقاط الاحتكاك مع الديانات الأخرى وما يتعلق بالجهاد، وتعدّدت الملاحق المخصصة للإسلام، وبعضها بمشاركة أقلام من المسلمين كما حدث في ألمانيا، في الصحف اليومية والأسبوعية الرئيسية.

استنتاج ختامي:

- على دول العالم وخاصة الغربية منها إذا أرادت أن تتعايش سلمياً فعليها مراعاة الجوانب التالية:
- 1-دراسة مقارنة بين الحركات الإرهابية والحركات الإسلامية السلمية وعدم الخلط بينها مفاهيمياً وسياسياً.
- 2-عدم المساس بالأقليات المسلمة التي تعيش في أوروبا بحجة الدين والدين الإسلامي.
- 3-ضرورة الفهم الجيد للدين الإسلامي، وعدم الخلط بين السلوك الهنجاري، والسلوك الديني الذي يعبر عن قيم التعايش والسلام المشترك .
- 4-إحلال السلام لعالمي المشترك مكان الصدام الديني والإختلاف العقائدي.
- 5-إجراء دراسات مقارنة ليتأكد من خلالها العالم بأن الإسلام بريئ من كل التهم المنسوبة إليه ، وخاصة تلك التي تصف المسلمين بالإرهاب والمرتزقة.
- 6-نزع مصطلح الإسلاموفوبيا من القاموس العالمي ، لأنه يمس بالعقيدة والدين الإسلامي .
- 7-استحداث آلية دفاع عالمية لحماية اللاجئين المسلمين في أوروبا، وجعلهم يمارسون حقهم الديني بكل حرية وديمقراطية.
- 8-عدم المساس بالشخصيات والمقدسات الدينية وعلى رأسها شخصية الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.
- 9-مراقبة ما يقدمه الإعلام الغربي من سموم خبيثة للعرب والمسلمين، ومحاولة تشديد الرقابة على بعض القنوات الإعلامية الغربية المسمومة.
- 10-تجريم كل من يمس بالعقيدة الإسلامية بحجة مصطلح الإسلاموفوبيا الخبيث المنبت والمنشأ.
- 11-على الجمعيات النشطة، والفئات الفاعلة على المستوى العربي والإسلامي، أن تدق ناقوس الخطر لما يدبر من مكائد للدين الإسلامي إعلامياً، سياسياً وعسكرياً.
- 12-ضرورة احترام الأديان وثقافة الشعوب في إطار السلام العالمي المشترك والموحد لدى جميع الشعوب.

الهوامش :

أ- الكتب:

- 1-أحمد عبد الغني محمود عبد الغني، مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب من موقع الألوكة، 22 جانفي 2018.
- 2-وليدة حدادي، " دور الإذاعة المحلية في التوعية المرورية" ، مجلة جيل البحث العلمي للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العام الثالث، العدد 25 ، بيروت ، لبنان، نوفمبر، 2016.
- 3-فاطمة بخوش، مجتمع المعلومات بين تقننة المجتمع وأنسنة التقنية، مجلة فكر ومجتمع، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، العدد 32، الدويرة، الجزائر، 2016.
- 4-أنظر: قراءة سوسيولوجية للباحث هشام سبع للعلاقة الثنائية بين الدين والظاهرة الإعلامية في الجزائر، 2016
- 5-مشروع استهلك جزائري، وزارة التجارة، الجزائر، 2015
- 6-كارل بوبر، "التلفزيون خطر على الديمقراطية"، مجلة دراسات فلسفية، العدد 2، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، قسنطينة، الجزائر، جوان، 2014
- 7-هشام سبع، محاضرات في مقياس التغير الاجتماعي، سنة ثانية علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريش، مدرج ابن خلدون ، الإثنين، 18 ديسمبر 2018

ب-المواقع الإلكترونية:

8-http://www.aluka.net